التقديم والتأخير

التقديم

مصدر الفعل(قدّم) المزيد بالتضعيف. ومادة القدم دالة على السبق :

﴿ قدم ﴾ القاف والدال والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على سَبْق ورَعْف[1] ثم يفرَّع منه ما يقاربُه : يقولون : القِدَم : خلاف الحدوث . ويقال : شيء قديم ، إذا كان زمانُه سالفاً . وأصله قولُهم : مضَى فُلَانٌ قُدُماً : لم يعرِّج ولم يثْنِ. وربما

يُشير النص المعجمي(معجم مقاييس اللغة : ٦٥/٥) إلى أنواع من القدم :

- التقدم بالوجود(خلاف الحدوث). فالقديم ليس له بداية. بل هو موجود قبل كلّ شيء.((والقَدِيمُ – على الإطلاق – : اللهُ عزّ وجلّ.)) (المحكم والمحيط الأعظم : ١٩٩/٦)

وهذا القدم الوجودي للذات الإلهية. وما سواها حادث بذاته؛ لأنّ الله تعالى أفاض الوجود على مخلوقاته.

- التقدم الزماني . مثل زمان وجود الأب متقدّم على زمان وجود الابن.
- ذكر التقدم الرتبي، ويكون بالرتبة والمنزلة(تهذيب اللغة : ٤٨/٩)

وقال غيره يقال : مَشى فلان القَدَمِيّة والقِدْمِيّة[2] ، إذا تقدّم في الشرف والفضل ولم يتأخّر عن غيره في الإفضال على الناس .

التأخير

من الفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف(اخّر) ويتضح معنى التأخير مباشرةً بنقيضه التقديم. كما عرّف ابن فارس(معجم مقاييس اللغة : ٧٠/١) قائلًا :

﴿ أخر ﴾ الهمزة والخاء والراء أصل واحدٌ إليه ترجع فروعُه ، وهو خلاف التقدُّم . وهذا قياسٌ أخذْناه عن الخليل فإنّه قال : الآخِر نقيض المتقدّم . والأُخُر نقيض القُدُم ، تقول مضى قُدُما وتأخَّرَ أُخُرًا . وقال : وآخِرَة

إنّ الكلمات في وجودها الذهني في النفس تترّتب بطريقة سريعة، ولذلك الترتيب أسس متعدّدة. منها الترتيب الوجودي، و الزماني، والرتبي، واللغوي الذي ينبع من طبيعة الكلمات، ورؤية المتكلّم، والمخاطَب والمقام وغير ذلك.

تطابق الترتيب النحوي والترتيب الوجودي

يمكن ترتيب الموجودات(المخلوقة) بناءً على وجودها كالآتي :

الأشياء ⟵ الأفعال ⟵ الصفات

يتحقّق وجود الشيء. ثم يقوم كل شيء بعد وجوده بأفعاله المناسبة. ثم يتصف بصفاته. مثل يتحقّق وجود الإنسان أولًا. ثم تصدر منه أفعاله بالتدريج مثل : يسمع ويبصر ويذوق وينام ويتعلّم ... ثم بتكرار الأفعال تتحوّل إلى صفات، تتحد بنفسه. فيصير الإنسان سميعًا بصيرًا ذوّاقًا نائمًا عالمًا ...

وتتّخذ الكلمات في التركيب نسقًا مطابقًا للوجود عندما يرتّب العقل مفاهيمه في رؤية مطابقة لوجود الأشياء التي يتحدّث عنها :

- ✓ **ـ الشمس تشرق .**
- ✓ **ـ الناس يعملون.**
- ✓ **ـ الأطيار تأكل.**

الاسم دال على الشيء في الخارج + الفعل دال على الفعل في الخارج

- ☒ **الرجل عالم.**
- ☒ **هم صادقون.**
- ☒ **الأسد شجاع.**

الاسم دال على الشيء في الخارج + المشتق دال على الصفة في الخارج

تطابق الترتيب النحوي والترتيب الزماني

للزمان ترتيب يبدأ بجزء ماضٍ، وله أجزاء كثيرة. وجزء حاضر. وجزء مستقبل. والأشياء **يتقدّم بعضها على بعض بالزمان.** واللغة تصوّر ذلك الترتيب الزماني بدقة. ومن الأمثلة عليه :

- **المعلم والطلبة حاضرون.**
- **الآباء فرحوا بأبنائهم.**
- **تعلمتُ الكتابة، فكتبتُ قصة.**

إنّ العقل يستطيع تجاوز الترتيب الزماني بقدرته على ترتيب الكلمات في وجودها الذهني بطريقة مختلفة تناسب المقام. فيقول المتكلم :

- ❖ نحن أبونا آدم.
- ❖ اليومُ أسعدُ من أمس.
- ❖ خلقني أنا وأبي الله .

تطابق الترتيب النحوي والترتيب الرتبي

تتفاضل الأشياء بذواتها وبصفاتها. وتكون لها مراتب ودرجات في القيم. والعقل يُدرك تلك القيم، والخصائص الكمالية. ويضع الأشياء في مراتبها التي تناسبها. ويعبّر عنها في ترتيب لغوي مطابق لرتبها الواقعية أو الاعتبارية. ومن الأمثلة عليه :

- محمد(ص) وعيسى(ع) نبيان.
- الذهب والفضة ثمينان.
- الناس : عالم ومتعلم وهمج رعاع.

تطابق الترتيب النحوي والترتيب اللغوي

اللغة لها خصائص ذاتية عند النطق تفرض نظامًا صوتيًّا تتوالى فيه الكلمات بعضها تلو بعض. ما لا يسمح بتجاوز هذا النظام الصوتي الصارم الذي تتلاحم بسببه بعض الكلمات. فلا يقدر الذهن تفكيك ذلك الارتباط حتى يتطابق الترتيب النحوي مع الترتيب الوجودي أو الزماني أو غيرهما. وإليك أمثلة توضح سلطة اللغة في الرتبة النحوية :

- أكرمَك محمد.
- ساعدني أبي.
- إنّكم وصديقَكم جالسون.

الضمائر المتصلة تتقدّم على الأسماء الظاهرة في الترتيب الذي تفرضه طبيعة اللغة. ولا تقبل هذه الضمائر أنْ تتأخر، وتنفصل بلفظها نفسه.

- ✓ هذا أخوك.
- ✓ كتابُك نافع.
- ✓ سمعتُ خطابَه.
- ✓ أبو محمدٍ وفي.
- ✓ جعفر صديقُ زيدٍ.

إنّ الرتبة للمضاف والمضاف إليه ثابتة. لا تسمح بتقديم المضاف إليه على المضاف.

- من هذا ؟ و((أين زيدٌ؟. وكيف عمرو؟ فعمرو وزيد يرتفعان بالابتداء وكيف وأين خبران قدّما عليهما لما فيهما من معنى الاستفهام. والاستفهام لا يتقدّم عليه ما كان في حيّزه))(الإيضاح العضدي :٣٠-٣١).

تطابق الترتيب النحوي ورؤية المتكلّم

يقوم العقل بترتيب الكلمات بطرائق شتى. ولعل من أكثرها الطريقةُ التي تعكس رؤيته للأشياء. فهو ينظر لشيء واحد من جهات شتى : جهة بعد أخرى. ثم يقوم بربط الكلمات، وترتيبها على أساس نظره إلى الأشياء، وحضور صور الأشياء فيه. وتتطابق الألفاظ والمعاني في الترتيب. قال أبو حيّان في تطابق الترتيب اللفظي والمعنوي في النفس أو الـ(نية)(التذييل والتكميل :٢٦٨/٣) :

> عامل أن يتقدم على معموله، وإنما ذلك لأنَّ وضع الخبر أن يكون ثانياً للمبتدأ لفظاً أو نيةً، والمبتدأ أول لفظاً أو نية لا من حيثُ العمل بل من حيثُ ترتيبُ الإسناد؛ لأنَّ الأصل في الوضع أن يُطابق المعنى للفظ، فتبدأ أولاً بالمسند إليه الحكم، وتأتي ثانياً بالمُسنَد لأنه حديث عنه، ولذلك كان باب وضع الفاعل[٢] على خلاف الأصل؛ لأنه ليس المعنى فيه مطابقاً للفظ؛ لأنك بدأتَ أولاً بالمسند، ثم أتيت بالمسند إليه، فلمَّا اتصل بالمبتدأ ضمير شيء هو في الخبر، كان مفسرُه متأخراً عنه لفظاً ونية إذ وقع في موضعه ثانياً، وهو

ويمكن أنْ تُتصوّر بعض نظرات العقل للمعاني(ورؤية العقل تُوجهها أشياء كثيرة) فيما يأتي :

١. نظره للفعل أسبق من نظره للفاعل يُنتج جملًا فعلية :

ـ اقترب السحاب.

ـ طلع القمر.

٢. نظره للمفعول قبل الفعل والفاعل. فيتقدّم المفعول به :

ـ ساعةً اشتريتُ.

ـ كتابًا قرأتْ زينب.

٣ـ نظره للظرف أسبق من نظره لغيره، فيتقدّم :

ـ في المكتبة طلبةٌ.

ـ خلف الجبل مدينة.

٤ـ نظره إلى صفة الشيء قبل الشيء. تُنتج جملًا يقدّم فيها الخبر المفرد على المبتدأ :

ـ صديقُك محمد.

ـ المخلص أبوك.

إنّ التقديم والتأخير من صفات الكلمات التي تقع داخل التركيب الذهني قبل إيصالها إلى المتلقي. ويتوقف وجودها على حرية اللغة في تحريك كلماتها عند عملية التركيب. وينعدم وجود التقديم والتأخير عندما تفرض اللغة سلطتها بفرض رتبة ثابتة؛ لتحافظ اللغة على هويتها، وتُبيّن قدرتها على احتمال المعنى، والإسهام في إيصاله إلى المتلقي. وهناك قدرات كبيرة للعقل في تبديل مواقع الكلمات؛ ليتطابق ترتيبها المعنى في العقل نفسه .